نساء مجاهدات
في العصر الحديث

نعيمة عبد الباقي..
مناضلة في «النظام الخاص»

مريم السيد هنداوي (*)

كل منا يهتم بأمر التربية فهي أساس المجتمع المتحضر، واهتمام الأسرة الصغيرة والكبيرة والغنية والفقيرة، ولكن الذين يجيدون العمل بما سمعوا ويفهمون مقصد ما كتب حول التربية؛ هم وحدهم من يستفيدون منها ويعملون بها واقعاً يعايشون هاجسه صباح مساء وفي كل أحيانهم.

كم هي الكلمات التي حفظها لنا الدهر وسطرتها الأيام وأملاها التاريخ، ولكن كم منا الذين أخذوا بهذه الكلمات!!

إن الله عز وجل جعل للمرأة طبيعة خاصة تستخدمها في إعمار الكون، سواء بتربية النشء أو أفراد الأمة، أو الدفع بمن يربي الأمة أو تربية مجاهدين يتحملون عبء هذه الأمة.

وهذا العبء يقع على المرأة المسلمة، التي لو أحسنت التربية لوُجد مجتمع قوي متماسك.



نشأتها

في عشرينيات القرن الماضي ولدت نعيمة عبد المحسن في قرية «الرقة» القبلية التابعة لمركز «أطفيح» بمحافظة الجيزة، وهي قرية تقع جنوب الجيزة ويتسم أهلها بالطيبة الغالبة على الأرياف المصرية.

كان والدها مزارعاً يمتلك قطعة أرض يقوم بزراعتها ويعيش عليها هو وأبناؤه السبعة (محمد، عبد الباقي، محمود، أحمد، زبيدة، فاطمة، نعيمة).

لم تتمكن من الالتحاقٍ بالتعليم لطبيعة الأرياف، وحرمت كثيراً إلا أنها بعد ذلك سطرت لنفسها صفحات وسط تاريخ المجاهدات بأفعالها(١).

زواج مبارك

ما كاد عام ١٩٣٦م يهلّ إلا وقد حمل البشرى لبيتها، فقد جاء ابن عمها يخطبها من والدها، وابن عمها لم يكن الشخصية المجهولة التي لا يعرفها أحد، بل كانت مكانته وسط عائلته محل تقدير واحترام الجميع، بل والقرية كلها، وابن عمها هذا هو حسني أحمد عبد الباقي المليحي.



حسني عبد الباقي المليحي

ولدت في عشرينيات القرن الماضي ونشأت بقرية جنوب الجيزة يغلب على أهلها طيبة الريف المصري

تزوجت ابن عمها المجاهد حسني المليحي عضو النظام الخاص في جماعة الإخوان وحافظت على أسراره

وحسني المليحي من مواليد يونيو ١٩١٤م بنفس قريتها، حصل على الكفاءة، وعمل مزارعاً، وكان أخوه الحاج محمد أحمد هو عمدة البلدة، وله شقيق دكتور يسمى عبد المتعال.

التحق بجماعة الإخوان المسلمين في وقت مبكر، وصاحب الإمام البنا، كما أنه انضم إلى النظام الخاص، وأصبح من رجاله المخلصين.

انتخب عضواً بمجلس محلي مديرية الجيزة، وهنأه الإمام البنا كما هنأته

(*) كاتبة مصرية

صحف الإخوان المسلمين بهذا الفوز.

انتخب عام ١٩٤٨م ليكون عضواً بمكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين، كما انتخب عضواً في أول هيئة تأسيسية للإخوان المسلمين عن مركز «الصف».

حينما سقطت السيارة الجيب في ١٥ نوفمبر ١٩٤٧م سارع أخوه دون علمه وأخذ الأسلحة التي كانت عنده ورماها في النيل.

اتهم في قضية السيارة الجيب كما اتهم بعد ذلك في قضية مقتل النقراشي باشا، إلا أنه لم يثبت عليه شيء، لكن سرعان ما اعتقل مع بقية الإخوان بعد حل الجماعة في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م، وكان قبلها رجال البوليس قد ألقوا بقنبلة في وسط بلدته واتهموه برميها حتى يتسنى اعتقاله.

عودة الجماعة

بعد خروجه من المعتقل عمل مع إخوانه على عودة الجماعة مرة أخرى حتى عادت، وتم اختيار المستشار حسن الهضيبي في أكتوبر ١٩٥١م مرشداً عاماً للإخوان المسلمين، وانتخب الأستاذ حسني عبد الباقي عضواً في مكتب الإرشاد.

كان أحد رجال المكتب المؤثرين في التفاوض مع الضباط الأحرار حول اشتراك الإخوان في الثورة، وعقدت جلسات طويلة بين بعض الإخوان ورجال الضباط لتحديد إمكانية اشتراك الإخوان في الثورة.

كان جمال عبد الناصر وبعض الضباط يذهبون له قبل الثورة في بلدته، وكانوا يقضون في أماكن خاصة به فترات تقارب الأسبوع.

اعتقل مع إخوانه في يناير ١٩٥٤م وخرج في مارس من نفس العام، إلا أنه وبسبب دوره المؤثّر وسط الإخوان وشعبيته الجارفة وسط أهل بلدته كان من أوائل من اعتقل بعد حادث المنشية في أكتوبر ١٩٥٤م، غير أنه لم يقض في السجن طويلاً، وخرج مع عدد من الإخوان في عام ١٩٥٧م، إلا أنه ظل تحت المراقبة الشديدة بسبب طبيعته هو وطبيعة عائلته والتي كان لها نفوذ في البلدة.

ومن المواقف التي يذكرها له الحاج سعد الجزار في السجن: «أنهم كانوا يسيرون مع بعضهم بعضاً، فكان الدكتور أحمد الملط وهو طبيب تراه يسير مع



حسني المليحي ومحفوظ حلمي

لم يذكر لها أهل قريتها أنها ردت سائلاً طرق بابها تحملت غياب زوجها وظلت وفية له طوال فترات اعتقاله وخاصة في حادث السيارة الجيب عام ١٩٤٧م وفي محنة حادثة المنشية عام ١٩٥٤م

الأستاذ حسني عبد الباقي وهو مزارع، والأخ عبد العزيز زعير وكان بقالاً، فكان قائد المعسكر ينادي عليّ ويقول: هؤلاء الثلاثة طوال فترة الطابور يتحدثون مع بعضهم، ففي ماذا يتحدثون؟ رجل طبيب ومزارع وبقال، فقلت له: الدكتور الملط طبيعي سيتحدث عن القلب، لكن ليس القلب الذي تعرفه بل القلب الذي ذكره الرسول ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهو القلب»، فهو يتحدث عن القلب المعنوي لا الحسي، وحسني عبد الباقي مزارع يفهم حديث الرسول ﷺ: «إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»، فهو يتحدث عن تعمير الأرض وزراعتها فقال أجل، طيب والبقال؟ قلت: البقال هو تاجر فهي كلمة مقسمة إلى: (ت) وهي تقوى، والـ(أ) تعني أمانة، والـ(ج) تعني جريئاً، والـ(ر) تعني أن يكون رؤوفاً، ثم قلت له: كل الإخوان يتكلمون في المعاني التي يستطيعون أن يخدموا بها إسلامهم، فقال: أنا أتعجب من طبيب ومزارع وتاجر في هذه الجماعة العجيبة».

وفي عام ١٩٧٣م وبعد خروج عدد كبير من الإخوان من المعتقل، عمل على إزالة الخلاف بين الأستاذ التلمساني والأستاذ صالح عشماوي، وعادت مجلة الدعوة للظهور مرة أخرى.

ولقد شارك الأستاذ مصطفى مشهور، والأستاذ كمال السنانيري، والأستاذ عباس السيسي والأستاذ أحمد حسانين وغيرهم في تدعيم وترسيخ الدعوة في البلاد الأخرى، وتوثيق الصلة بباقي البلاد العربية والإسلامية والغربية، وكان من ضمن الوفد الذي ضم الأستاذ صالح أبو رقيق والدكتور أحمد الملط الذي ذهب للسادات لتقديم وجهة نظر الجماعة في الإصلاح التي استلمها منهم المهندس عثمان أحمد عثمان لتسليمها له.

انتخب عضواً في مجلس الشعب عام ١٩٨٤م هو والحاج حسن جودة، والحاج حسن الجمل، والأستاذ محمد المراغي، والأستاذ محمد الشعتاني.

كان الأستاذ حسني عبد الباقي من أجود الناس الذين عرفهم أهل الصف -وهذا بوصفهم له- حتى أنه حظي بحب الجميع، فأكرموه في أولاده، فلم تخرج نيابة مجلس الشورى من منزله، ولقد ظل

مخلصاً لدعوته حتى توفاه الله في ٢٤ مايو ١٩٩٠م(٢).

زفت نعيمة عبد الباقي إلى زوجها الأستاذ حسني في عام ١٩٣٦م، ورزقهما الله بكمال، ثم أحمد، ثم ماجد، ثم محمد والذي ولد عام ١٩٤٢م – وهو حالياً عضو مجلس الشورى المصري، ثم فاطمة، ثم عائشة.

في قلب الحدث

كانت طبيعة حياة الأستاذ حسني عبد الباقي في داخل الدعوة والنظام الخاص وكعضو مجلس محلي المديرية يحتم علي زوجته طبيعة خاصة في حياتها، حيث كانت ترتب له شؤونه، وتعاونه على مهامه، وتحفظ أسراره كرجل في النظام الخاص.

كان الحاج حسني كثير السفر من أجل دعوته، وعندما اختير عضواً بمكتب الإرشاد عام ١٩٤٨م شعرت بأن الدعوة أصبحت مسؤوليتها، فكانت تجوب القرية لتنشر فهم الإسلام الصحيح وسط نساء القرية، وبالرغم من كونها غير متعلمة إلا أن هذا لم يمنعها من توصيل دعوتها للأماكن المجاورة لها، وساعدها على ذلك مكانة زوجها في الدعوة ومكانته الاجتماعية.

وصفها أهل قريتها بأنها كانت تنافس زوجها على الجود بما في يديها، فكانت حريصة على رعاية أهلها وأفراد قريتها، ولم يذكروا يوماً أنها ردت سائلاً من على بابها، ولم تطرد صاحب حاجة.

ليس ذلك فحسب، بل اتسمت بالشجاعة التي كانت مطلوبة في هذه المرحلة، خاصة وطبيعة زوجها كرجل في النظام الخاص كان يحتم عليها إخفاء كل ما يكشف هذه الهوية، فلم يعرف أحد –حتى أولاده – أن والدهم أحد رجال النظام الخاص، حتى عندما سقطت السيارة الجيب عام ١٩٤٧م وجاء اسم زوجها في التحقيق، ثم كان الاتهام المباشر له في قضية مقتل النقراشي بالرغم من أنه لم يكن له صلة بذلك – قامت الزوجة بإخفاء قطعة السلاح – مع العلم أنه سلاح مرخص لكونه عضو مجلس محلي مديرية الجيزة – إلا أن الظروف في هذا الوقت لم تكن تفرق بين عضو وغيره(٣).

كانت الحياة في فترة الإمام البنا مليئة بالأحداث، فقد كانت تنتظرها حرب فلسطين؛ حيث وقع عبء كبير على زوجها في جمع الأسلحة من الصحراء الغربية



عمر التلمساني يرحمه الله

عاشت في جهاد دائم مؤازرة لزوجها في دعوته مع كبار القادة لنشر فكر الإخوان خارج مصر

لقيت ربها عام ١٩٩٤م صابرة محتسبة بعد وفاة زوجها بأربعة أعوام

والشرقية وتنظيفها ودفعها للهيئة العربية العليا، التي كان يشرف عليها الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين، في هذا التوقيت عملت على رعاية أبنائها وتربيتهم تربية حسنة، فقد كانت لا تشعرهم بغياب الوالد، حيث كانت نعم الأم ونعم الزوجة.

اعتقال الزوج

كانت تنتظرها مرحلة أخرى، وهي اعتقال وتغيب زوجها عنها وعن الأولاد، وظلت وفيّة لزوجها وأولادها ودعوتها طيلة فترة اعتقاله حتى خرج الزوج(٤).

مرت الأيام وجاءت أيام وتوالت عليها المفاجآت؛ حيث كان ينتظرها حدث جلل وهو الاجتماعات التي كانت تجمع بين رجال الثورة وقادة الإخوان المسلمين، هذه الاجتماعات التي وصفها الأستاذ حسن العشماوي – عضو مكتب الإرشاد والمحامي – في كتابه «مذكرات هارب»، ووصف فيها دور الأستاذ حسني عبد الباقي، هذه الاجتماعات التي رتبت لثورة ٢٣ يوليو(٥).

كانت الزوجة على دراية بكل ذلك، حتى أن جمال عبد الناصر عقد معسكراً لمدة أسبوع للتدريب في عزبة الحاج حسني عبد الباقي، وكانت ترسل لهم بكل مستلزماتهم من الطعام، ومع ذلك لم تناقش زوجها في أمر من أموره.

مرت أيام الثورة ونشوتها غير أنها كزوجة لم تكن مطمئنة لتقلب رجال الثورة، وكانت دائماً ما تدعو الله أن يسلم.. وجاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد اعتقل زوجها في أحداث يناير ١٩٥٤م، إلا أنها صبرت ولم تجزع لإدراكها أن هذا الأمر أصبح شيئاً عادياً في دعوة الله، وبرز جلَدُها بقوة بعد محنة حادثة المنشية التي اعتقل فيه الزوج لأكثر من عامين.

نحن لا نتحدث عن الأخوات لنعرّف الناس المحن التي تعرض لها الإخوان والأخوات، بل نسوقها ليعرف الجميع الصفات التي تحلت بها هؤلاء النساء في زمن لم يكن لأحد أن يجرؤ أن يتحدث فيه بشيء، بل على العكس، فقد كان زمناً شاع فيه الفساد، فقلما تجد امرأة محجبة أو ملتزمة بشريعة ربها، خوفاً من السلطان الذي كان يحكم البلاد.

في هذا الزمن كان هؤلاء الأخوات يعملن لدين الله، ويحافظن على شرع الله، ويصبرن على إيذاء أهل الباطل لهن، فحق لهن أن تُسطّر أسماؤهن بمداد من نور.

والمرأة الحقة تعرف بمواقفها، وهذا ما دفع الحاجة نعيمة للتعرف على معوقات الطريق ومنهجيته، وهذا ما دفعها عندما اعتقل زوجها عام ١٩٦٥م وغيبته السجون في باطنها سنين عدداً حتى خرج منها في عهد السادات، وهي المرأة التي أثقلتها الأيام والهموم، ومع ذلك كانت كالطود الشامخ.

كانت تشعر دائماً أنها في جهاد دائم



كمال السنانيري يرحمه الله

مع زوجها وأبنائها، فقد كان زوجها منشغلاً بعظائم الأمور في دعوته من تسيير أمور الدعوة مع قادة الإخوان، لمحاولة نشر الفكرة خارج إطار مصر وتكوين التنظيم الدولي للإخوان.

ثم كانت تنتظرها مفاجأة أخرى، وهي أن زوجها قرر خوض انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٨٤م، وبالرغم من أنها كانت قد تجاوزت الستين إلا أن روح الشباب قد عادت لها، فأخذت تستقبل أنصار زوجها وتعد لهم الطعام وتشرف على خدمتهم، وتتحسس مع ذلك أمر فقراء القرية، فترسل لهم مما جادت به نفسها في هذه الفترة، ووقت الانتخابات كانت الشعلة المتوقدة في البيت لتشرف على متابعة الأحداث، حتى كتب الله لزوجها التوفيق في الانتخابات(٦).

وفاتها

بعد انتهاء مرحلة الانتخابات تكالبت عليها الأيام وأثقلتها الأمراض، وسكن هذا الجسد الهزيل بعض الشيء، إلا أنه كان ينتابه بعض الهمة العالية بين الفينة والأخرى، حتى تعرض لهزة قوية بفراق سندها في الحياة في ٢٤ مايو ١٩٩٠م، فزاد همها وحزنت على فراقه كثيراً حتى سكن الجسد للأبد عام ١٩٩٤م، ودفنت بقريتها ووسط أهلها(٧).■

الهوامش

(١) حوار مع النائب محمد حسني عبد الباقي- عضو مجلس الشورى- أجراه عبده مصطفى دسوقي يوم ٢٠٠٩/٥/١م.

(٢) صحف الإخوان في الأربعينيات، وكتابات الأستاذ التلمساني، وحوارات مع بعض أهل القرية يوم ١/ ٢٠٠٩/٥م.

(٣) حوار مع محمد حسني عبد الباقي المليجي.

(٤) أحمد عادل كمال: النقط فوق الحروف، الزهراء للإعلام العربي، قضية السيارة الجيب ومقتل النقراشي.

(٥) حسن العشماوي: مذكرات هارب، الجزء الأول، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

(٦) ذاكرة الزعفراني: الدكتور إبراهيم الزعفراني، الإثنين٢٠ أغسطس ٢٠٠٧م.

(٧) حوار مع النائب محمد حسني عبد الباقي.

صحابيات مجاهدات

أم الدحداح الأنصارية

أم الدحداح الأنصارية واحدة من نساء الصحابة اللاتي كان لهن دور جليل في تاريخ الإسلام، وهي واحدة ممن آثرن نعيم الآخرة المقيم على متاع الدنيا الزائل.

أسلمت أم الدحداح حين قدم مصعب ابن عمير المدينة سفيراً لرسول الله ﷺ ليدعو أهلها إلى الإسلام؛ حيث كانت ممن ناله شرف الدخول في الإسلام، كما أسلمت أسرتها كلها، ومشوا في ركب الإيمان.

زوجها الصحابي الجليل أبو الدحداح، ثابت بن الدحداح بن نعيم بن غنم بن إياس حليف الأنصار، وأحد فرسان الإسلام، وأحد الأتباع الأبرار المقتدين بنبي الإسلام ﷺ، والسائرين على نهجه الباذلين في سبيل الله أنفسهم وأرواحهم وأموالهم.

وقد كان لأبي الدحداح أرض وفيرة في مائها، غنية في ثمرها، فلما نزل قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾(البقرة: ٢٤٥)، قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: «نعم يريد أن يدخلكم الجنة به»، قال: فإني إن أقرضت ربي قرضاً يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي في الجنة؟ فقال ﷺ: «نعم» قال: فناولني يدك، فناوله رسول الله ﷺ يده الشريفة، فقال: إن لي حديقتين: إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «اجعل إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لعيالك»، قال: فأشهدك يا رسول الله أني جعلت خيرهما لله تعالى وهو حائط فيه ستمائة نخلة، قال: «إذاً يجزيك الله به الجنة».

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح، وهي مع صبيان في الحديقة تدور تحت النخل، فأنشأ يقول:

هداك الله سبل الرشاد
إلى سبيل الخير والسداد
بيني من الحائط بالوداد
فقد مضى قرضاً إلى التناد
أقرضته الله على اعتمادي
بالطوع لا منّ ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف في المعاد
ارتحلي بالنفس والأولاد
والبر لا شك فخير زاد
قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح رضي الله عنها: ربح بيعك! بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشرك الله بخير وفرح
مثلك أدى ما لديه ونصح
قد متع الله عيالي ومنح
بالعجوة السوداء والزهو البلح
والعبد يسعى وله قد كدح
طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح رضي الله عنها على صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال رسول الله ﷺ: «كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح».

وكان أبو الدحداح رضي الله عنه مثالاً فريداً في التضحية والفداء، فإنه لما كانت غزوة أحد أقبل أبو الدحداح والمسلمون أوزاع قد سقط في أيديهم، فجعل يصيح: يا معشر الأنصار إليّ أنا ثابت بن الدحداحة، قاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم، فنهض إليه نفر من الأنصار، فجعل يحمل بمن معه من المسلمين، وقد وقفت له كتيبة خشناء، فيها رؤساؤهم، خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب فجعلوا يناوشونهم، وحمل عليه خالد بن الوليد الرمح فأنفذه فوقع شهيداً رضي الله عنه، فعلمت بذلك أم الدحداح، فاسترجعت، وصبرت، واحتسبته عند الله تعالى.

رحم الله أم الدحداح فقد ضربت أروع الأمثلة في التضحية في سبيل الله.

نقلاً عن موقع «واحة المرأة»